الغوص، او قطف اللؤلؤ

التجارة والملاحة واللؤلؤ هي منابع الثروة في الكويت . واللؤلؤ هذا الدر الثمين والجوهر الغالي يوجد في مياه الكويت والبحرين وعدن والبحر الاحمر وسيلان والمكسيك ، ولكن أشهر مناطقه هي مياه خليج العرب وخاصة في البحرين والكويت .

أجل ! في الكويت حيث الصحراء القاحلة وحيث ينعدم الماء والنبات توجد في المياه الثروات الضخمة مكثفة في لآلىء . وتقدر موارد الكويت من اللؤلؤ سنوياً بملايين من الروبيات تسبب ثراء بعض الناس وحياة آلاف من البحارة والعمال .

يذهب الكويتيون الى الغوص فيغوصون ويستخرجون اللؤلؤ ويحملونه في جيوبهم ويركبون سفنهم الى الهند حيث يبيعون اللؤلؤ ويشترون باثمانه أرزاقاً لا تعد ولا تحصى .

قد تحب ايها القارىء الكريم ان تعرف ما هو اللؤلؤ وكيف يتشكل قبل ان تعرف كيف يقطف . ولا ريب أنك من المعجبين باللؤلؤ سواء أحصلت عليه او لم تحصل فهو يجذبك ببريقه الخلاب ونعومته الظاهرة وأنت ولا شك تحب ان تطوق جيد عروسك او من تحب بعقد نفيس من هذا الدر الثمين ، وأنا ايضاً مثلك احب أن ازين جيد حسناتي بحباته المشرقة .

ايها القارىء اذكر دوماً كم هي كثيرة الجرائم المنكرة التي ترتكب في سبيل اللؤلؤ ، وكم امرأة هجرت زوجها لانه عجز عن اهدائها عقداً منه ؛ وكم شاب رفضت خطبته ولم يعقد له على حسنائه إلا بوساطة اللؤلؤ ، واذكر كم هن كثيرات النساء اللائي يترامين على اقدام اللؤلؤ مهن بالآلاف بل بالملايين بل بعشرات الملايين وأي امرأة لا تعشق اللؤلؤ ولا يأسرها بريقه الاخاذ ؟ أي فتاة لم تحلم بعنق من اللؤلؤ جميلة ام قبيحة مثقفة أم

جاهلة شرقية وغربية . صبية وعجوزاً ؟ وإنني على يقين أنه لو وضع اللؤلؤ في جانب والخاطب في جانب آخر لما هفا قلب المرأة إلا للؤلؤ ، قاتل الله اللؤلؤ ، فلو كنت أملك منه عقداً واحداً لما طارت الحمامة الجميلة من كفي لتحط على غصن لا يزينه إلا اللؤلؤ ، كن ابن من شئت وارق صعوداً الى المجد واجمع الثقافة التي تحب وتحل بالخلق مثل الملائكة ، لا قيمة لك بنظر المرأة إذا كانت يدك خالية من اللؤلؤ لانه قيح حيوان أليس كذلك يا...؟ وها أنذا اعرفك الى اللؤلؤ سر السعادة وسر الشقاء

تشكل اللؤلؤ : تعيش في مياه الخليج حيوانات بحرية ناعمة في قواقع واصداف اشهر انواعها : المحار ، الصديفي ، الزنية الفصم ، ويقول الدكتور « ب . س . فلسن » انه لا يوجد لهذه الحيوانات الناعمة عيون ولا انوف ولا أذان ؛ وتلد الانثى نحو ستين مليون بيضة كل سنة في فصل الصيف ، ولا تفقس هذه البيوض كلها وانما تفقس بيضة واحدة فقط من كل مليون بيضه ، ويخرج المحار الصغير ، أما بقية البيوض فتذهب طعاماً للاسماك والحيوانات البحرية ، اما الحيوانات البحرية الناعمة الصغيرة الجديدة التي كتب لها البقاء فتظل سابحة في الماء حتى تتشكل لها القواقع وحينئذ تغور الى قاع البحر وتلتصق بالصخور او باشجار البحر بألياف دقيقة تشبه الخيوط وتبقى ملتصقة طول حياتها » .

وتأخذ هذه الحيوانات البحرية الناعمة بالنمو حتى تصير بحجم الكف او اكبر بحسب نوعها ، والصدفة هي بيت الحيوان الناعم ووسيلة الدفاع الوحيدة عنه ، وتتألف من مصراعين ينفتحان وينطبقان بارادة الحيوان الناعم ، فاذا أراد أن يأكل فتح المصراعين الصدفيين على قدر الحاجة فيدخل الماء ومعه بعض الديدان والحشرات الصغيرة والاعشاب فيتغذى بها الحيوان الناعم ، ويدخل الى المحارة في اليوم الواحد من الماء ما يملىء برميلا وذلك كي يحصل الحيوان الناعم على الغذاء الكافي وعلى مولد الحموضة اللازم لتنفسه ثم يخرج الماء غير اللازم له .

وقد يتفق ان يدخل الى جوف المحارة مع الماء والديدان والنباتات الصغيرة جسم غريب كذرة من رمل او ما شاكلها فتؤذي الحيوان فيفرز اذ ذاك مادة كلسية

خاصة يحيط بها الجسم الغريب ويدفع أذاه ، وبمرور مدة من الزمن سنة او اكثر تتصلب هذه الافرازات وتضحى لؤلؤة ثمينة .

وقد حدثني بعض الغاصة وتجار اللؤلؤ انهم كسروا مرة لؤلؤة كبيرة حمراء ضاربة الى السواد مستخرجة من زنية فوجدوا فيها حبة صغيرة من الطين .

الاستمرار للغوص : يسمى قطف او صيد اللؤلؤ (الغوص) ، وموسمه الاكبر فصل الصيف ، يبتدئ من ايار وينتهي في اواخر آب وقد يستمر الى بعض ايام الخريف ما دام البحر دافئاً ، وليس حصر الغوص في الصيف لأن المحار لا يوجد إلا في الصيف ، أو لأن اللآلىء لا تتشكل إلا في الصيف فلا يوجد لذلك من سبب إلا دفء الماء ؛ لأن الغاصة يغوصون عراة فلا بد لهم من ان ينتظروا الموسم الذي يدفأ فيه الماء .

وقد تستمر الرحلة الى الغوص اياما أو أسابيع او أربعة اشهر على الاكثر ، فاذا انتهى الغوص وعاد الناس سميت عودتهم هذه (قفالا)من قفل اذا رجع .

وقد يذهب بعض الناس بعد الموسم العام للغوص في الايام الدافئة من الخريف ويسمى ذلك (ردادة) لانهم يرتدّون ثانية الى الغوص . وقد يذهب بعض الغاصة بعد ذلك فيسمى ذهابهم (رديدة) اى العودة الصغيرة ، وقلائل هم الذين يذهبون للرديدة .

وقد يذهب بعض الناس بعد ذلك ويسمى ذلك (خانجية) ، وقد يذهب بعضهم في الايام الدافئة من الشتاء ويسمى ذلك (تيفى) أي تجني من جني اللؤلؤ أي قطفه ، وهو ان يقصد بعض الغاصة السواحل فاذا كان البحر (ثبراً) جزراً ساروا بين الصخور يقطفون المحار ، وهذه العملية غير رابحة من الغالب ، وقد قال الشاعر يغوص البحر من طلب اللآلىء .

وهناك طريقة في قطف اللؤلؤ من المياه القريبة من السواحل تتلخص بأن يركب رجل او اثنان في صندوق من الخشب ارضه من الزجاج ويسمى (جامة) او (منظرة) يركب بها الشاب وينظر الى قاع البحر من ارض الجامة الزجاجي فاذا رأى محاراً غاص خلفه .

وتذهب الى الغوص مئـات السفن وقد يبلغ عددها نيفاً وثلاثمائـة سفينة من مختلف الاشكال والحجوم يعمل فيها آلاف الغاصة والبحارة والعمال ، وقـد تذهب الى الغوص بعض الابوام الكبيرة ، ويمكن ان يعمل في اليوم نحو سبعين رجلا ، وقد تذهب بعض الجـلابيت (الزوارق) الى الامكنة القريبة ويعمل فيها ثلاثـة رجال فقط ، وسفن الغوص انواع منهـا : البوم ، الشوعي ، السنبوك ، البتيل ، الجالبوت ، البلم ، ويعمل في السفينة عدة رجال يقومون باعمال مختلفة ، وهم بحسب اهميتهم في السفينة :

النوخذا : وهو ربان السفينة ورئيس بحارتها ومدير شؤونها يعين وجهة الابحار ويأمر بالسير أو بالرسو ويفصل في المنازعات ، ولا يوجـد في السفينة إلا نوخذا واحد ، وهناك مثل كويتي مشهور : « نوخذا وان اغرقا سفينة » .

الغيص : ووظيفته أن يغوص في البحر لجمع الاصـداف فقط ، وقد يوجـد في السفينة عشرات من الغاصة او الغواويص .

السيب : ووظيفته ان يخـدم في السفينة وان يساعد الغيص بان يرفعـه بالحبل عند اللزوم وان يسحب (الديين) من البحر ، والديـين هو الشبكة التي يعلقهـا الغيص في رقبته ويضع فيها الصدف .

الرضيف : ووظيفته مساعدة السيب ويقوم ببعض الخدمات فى السفينة ايضاً .

النهام : وهو مطرب السفينة يغني ويدق بالطبل والدف والدربكة .

وهناك عدا هؤلاء طباة ونوتية وخدم .

ولا يذهب الناس الى الغوص فوضى وانما هناك نظم معينة ورسوم مفروضـة وموعد محدد يفتتح فيه موسم الغوص .

الدشة للغوص : (اي الدخول) فاذا أتم المرء المعاملات اللازمة خضر سفينته وجهزها بما يلزم من الاطعمة والماء والوقود والرجال والادوات فاذا جاء الوقت المعين للذهاب الى الغوص تجمهر الناس على السيف يودعون الذاهبين الى عرض البحر وظلماته لاستخراج الثروة الغارقة في قاع اليم .

ترفع الاعلام الكويتيـة الحمراء وينطلق النهام بصوته العـذب ويـدق بالدف

والبحارة يرددون وهم يسيرون السفينة بالمجاذيف حتى تخرج من الفرضة وإذ ذاك ينهض النوتية الى الحبال ينشدون بصوت واحد : « هي اليم لي هي اليم لي » فينشرون الاشرعة البيضاء وينشدون : شلنا وتوكلنا على الله ؛ شلنا وتوكلنا على الله . فيدفعها الهواء وتمخر الشفينة عباب اليم . وتبتعد السفينة قليلا قليلا ويتضاءل الصوت شيئاً فشيئاً حتى ينقطع عن اسماع اهل المدينة وتمعن السفن في الابحار حتى تغيب عن الانظار وتضحى في عرض البحر .

وتظل السفينة فى سيرها اياماً وليالي بل واسابيع احياناً حتى تصل الى المنطقة التي هي مظن وجود اللؤلؤ فيأمر النوخذا فيطوى الشراع والنوتية يغنون : « هي يم لي » وتلقى المراسي ، وترسو السفينة فيستريح القوم من عناء السفر ، ثم ينهضون للعمل .

الغوص : يخلع الغيص ثيابه ويأتزر بمزر او يابس ثيابا رقيقةسوداء ملتصقة بالجسد خاصة بالغوص اسمها لباس الغوص ثم يضع في رقبته الديين وعلى أنفه (الفطام) وهو آلة صغيرة تشبه ملقط الغسيل يسد بها الانف وإذا كان البحر قليل العمق وقف الغيص على حافة السفينة وهو يقول : بسم الله ، ثم يلقي نفسه في الماء فينشق البحر وتضطرب صفحة اليم ويغيب الرجل في جوف البحر ثم يلتئم جرح البحر ويعود كل شيء الىَ ما كان عليه ويسود الهدوء ، ولا يظهر في البحر إلا (الحدا) وهو الحبل الذى يربط به الديين في عنق الغيص ، والذي يمسكه السيب ، وإلا (الزيل) وهو الحبل الذى يعلق به الحجر او الحديد الذي ينزل الغيص بثقله الى البحر ويبقى طرف هذا الحبل بيد السيب .

وأما الغيص فلا يكاد يصل الى القاع حتى يشرع بالتقاط المحار والاصداف وعيناه مفتوحتان ويضع الاصداف في الديين برشاقة فائقة وينتقل من مكان الى مَكان بأقصى سرعة فاذا أحس بانقطاع نفسه رفع الديين من عنقه وهز الحدا ثم ضرب الارض برجليه وشق الماء بذراعيه حتى يصعد الى سطح الماء بينما يسحب السيب الديين ويفرغ ما فيه من صدفات بأرض السفينة ، ويستنشق الغيص الهواء ثم يعود الى الغوص وهكذا . . .

وكل مرة يغوص فيها ويعود الى السفينة تسمى « تبّه » وتستغرق من نصف دقيقة الى دقيقتين ، ونادراً ما يستطيع احد ان يبقى في الماء اكثر من ذلك .

وقد ضرب أحد الغاصة العرب الرقم القياسي في الغوص بان مكث في جوف البحر ثلاث دقائق ، وكل عشر تبات تسمى « قحمة » . والغيص لا يستريح عادة إلا في كل قحمة دقائق قليلة .

وللغوص اشكال شتى تختلف بحسب عمق قاع البحر، وبحسب استعداد الغيص وطول نفسه . وقد حدثني بعض الغاصة ان مهرتهم يصلّون أحياناً تحت الماء، وقالوا ان فيها خشوعاً ولذة وتقوى .

وطرق الغوص هي : «الحياري » أي الحجاري وتكون بأن يربط ثقل من حجر أو حديد بالزيبل يضمه الغيص في رجليه بحلقات ويبلغ بثقله قاع البحر ، ثم «الايادي» إذا اعتمد على قوة زراعيه ، ثم « الرواسي » إذا غاص ورأسه الى اسفل ورجلاه الى أعلا .

ويمكن أن يعمل عدة غواويص في آن واحد ، والسفينة إما أن تظل واقفة وإما أن تنتقل قليلا قليلا ، فاذا قل المحار انتقلت الى اماكن غنية به ، وإذا فرغت مؤونتها قصدت الجزر الآهلة للامتيار .

ويشرب أهل السفينة من ينابيع حلوة خاصة في البحر يعرفونها ويمائون منها فيغوص الغواص والقربة من الجلد فارغة مطوية في يديه فاذا بلغ النبع في قاع البحر أو بين الصخور وضع فم القربة على العين فتمتلىء القربة من نفسها فيدفعها الى الاعلى ويخرج .

أما المحار في قاع البحر فنادراً ما يوجد ملقى على الارض القاء كالحصى وإنما يكون معلقاً بالياف دقيقة بيضاء تشبه الخيوط تنبعث من أسفل المحارة وتستمسك بالصخور او بالاشجار . ولابد للغواص من اقتطاف المحارة اقتطافا كما تقطف التفاحة ولذلك اطلقت على صيد اللؤلؤ اسم « قطف اللؤلؤ » وهي تسمية اقرب الى الصواب

وقد اتيح لي مرة ان اقطف بعض المحار من بين الصخور على الشاطىء في

« السالمية » ظاهر مدينة الكويت على طريقة التيني اثناء الجزر برفقة الشيخ سالم حمود فكنت امسك المحارة وأديرها قليلا ثم أجذبها بجهد بسيط فاذا بها في يدي . وأنت تحب ايها القارىء الكريم ان تعرف نتيجة قطفي للؤلؤ ، وقد يذهب بك الخيال أنني أثريت من اللؤلؤ . لاتتوهم ، أقول بشيء من الاسف انني رغم توجهي الى بعض الناس في دمشق ان يوجهوا قلوبهم نحوي لأربح اللؤلؤ ، فقد فتحت المحارات ولكني لم أعثر فيها على لؤلؤ لسوء الحظ . ولست أنا المسؤول عن ذلك . وإنما المسؤول بعض اللآلىء في دمشق .

ومهمة الغوص مهمة شاقة خطرة تتطلب قوة وخفة وطول نفس لذلك يأكل الغيص في النهار أكلا بسيطاً يكون على الغالب من التمر ليكون خفيفاً وغيرملىء لأن الامتلاء يعيق فعل الغوص ويؤذي الغواص ، فاذا اقبل المساء انتهى العمل واكل القوم وصلوا — في السفينة لا في الماء — وغالباً ما يكون طعامهم من الرز مع السمك الذي يصطادونه فاذا أقبل الليل وتلألأت نجوم السماء تلألأت السفينة ايضاً باضواء السرج التي تنعكس على صفحة اليم وصلى الربع ثم سمروا وغنوا ، ثم استسلموا لسلطان الكرى بانتظار اليوم التالي فاذا اشرق النهار استيقظ القوم وصلوا ثم تروقوا وأخذوا بفلق المحار لاستخراج اللؤلؤ .

والغاصه في البحر لا يخافون الا من (الدول) وهو حيوان ابتدائي هلامي شفاف مائل الى البياض لين كثيراً حتى ليكاد يكون مائعاً وهو اذا لامس الجلد حرقه . فاذا هبت البوارح اقتلعته ولفه الموج وقذفه الى الشاطيء .لذلك يستأنس الغاصة كثيراً بالبوارح .

ويخافون ايضاً من (الدياية) اي الدجاجة وهي حيوان بحري يشبه الدجاجة العادية ولها ريش سام يشبه الشوك ، والدياية تختبيء وراء الاعشاب والاشجار والصخور في قاع البحر وتهاجم الغاصة .ويخافون ايضاً من(اللخمة) وهي حيوان بحري رأسه يشبه الفراشة وله شوكة سامة .

من هذا ترى ان عملية قطف اللؤلؤ ليست سهلة كقطف التفاح او الورد وانما هي عملية شاقة محفوفة بالمخاطر والمهالك من غرق وهوام ووحوش البحر .

كل ذلك في سبيل هذه الحبات البيضاء التي تسمى اللؤلؤ .

اللؤلؤ : فاذا استخرج المحار والصدف كوم في ارض السفينة واجتمع الربع صباحاً حول هذه الاكوام وبيد كل واحد (مفاقة) وهي سكين خاصة لفلق المحار واستخراج اللؤلؤ من (الخرط) اي لحم المحارة ، فيمسك الرجل المحارة بيد والمفلقة بيد ، ثم يدخل المفلقة بين مصراعي المحارة فيفتحها ؛ ولكن لا تظهر اللؤلؤة على الاكثر الا بعد شق الخرط بمهارة . وفي هذه الحال إما ان تظل المحارة مظلمة وإما أن ينبعث منها بريق أخاذ من درة ثمينة هي اللؤلؤة .

وقد يوجد في الصدفة الواحدة لؤلؤة واحدة او اكثر ، وقد تفلق عشرات المحارات دون ان تعثر على أية لؤلؤة ، وهنا يشرق الحظ او يخبو ، ويبطل اثر الجهد والعمل وتكون الثروة للبخت ، وجدير بالذكر ان الخرط يؤكل .

أما اللؤلؤ المستخرج فهو على انواع بحسب وضعه في المحارة وبحسب نوع صدفته وبحسب لونه وشكله وجودته وحجمه ، فاللؤلؤة التي توجد في لحم المحارة جيدة ، والتي تلامس الصدفة رديئة .

ولؤلؤة صدفة المحار (والمحار نوع من الصدف) خير اللآلئ . ويليها لؤلؤ صدفة (الصديفي) وهي غير مرغوب فيها كثيراً لقلة مافيها من اللؤلؤ . ثم لؤلؤ صدف (الزنية) فلؤلؤ (الفصم) ولآلئ هذه الاصداف غير مرغوب فيها كثيراً ايضاً لسرعة انكسارها — وبتعبير الكويتيين انبطاطها — واسوداد لونها وخبوء ضوئها . ويتفادى تجار اللؤلؤ انكسار اللؤلؤة وذلك بثقبها .

ومن اغرب طرائقهم في معرفة جودة اللؤلؤة ودوام لمعانها او عدمه انهم يعمدون الى دجاجة يستبلعونها حبات اللؤلؤ المراد فحصها فاذا خرجت من الدجاجة مشرقة كما دخلت كانت جيدة وإلا فهي رديئة .

وغني عن البيان ان هذا الفحص كيماوي بحت نظراً لفعل العصارات .

واللؤلؤة البيضاء المشربة بلون وردي خفيف هي أحسن اللآلئ من حيث اللون وتسمى (نباتيا) وتليها المشربة بخضرة وهي غير جيدة وتسمى (قلابيا) .

ومن اللؤلؤ ما يكون بلون الزجاج ويسمى (زجاجياً) ، ومنه ما يكون

مشربا بزرقة خفيفة ويسمى (سماويا)، ومنه ما يكون مشربا بزرقه شديدةويسمى (سنقباسياً) اي لون العبد . وهذه الالوان غير مرغوب فيها .

أما اللوءلوء من حيث الشكل فمنه اللوءلوء المكور ويسمى (قول) اى مدور بالهندية وهو أحسن الاشكال ، ومنه ما هو بشكل نصف كرة ويسمى (بطن الهند) ومنه ما هو بشكل البيضة ويسمى (بيضي) ومنه ما هو مخروطي ويسمى (تيتولا) ومنه نصف الكرى إلا ان في رأسه استطالة ويسمي (كادوكيا) .

وأحسن اللوءلوء من حيث الجودة ما يسمي (جيون) وهي كلمة هندية معناها جميل ثم (خشن) ثم (قولواه) اي ان استدارته غير كاملة وهو اللوءلوء المعروف في سورية على الغالب . ثم (بدله) ثم (ناعم) ثم (بوكه) .

ومن اغرب ما حدث انه عرضت بعض عقود اللوءلوء النفيسة ذات الحبات الكبيرة من نوع الجيون المذكور وهي بلون نباتيا الجميل والحبات مكورة تماماً ملساء ومشرقة ، عرضت هذه العقود على الصاغة الدمشقيين فنفر منها اكثرهم خوفاً ان تكون هذه اللآلىء يابانية اصطناعية . وقلائل هم الذين استطاعوا ان يقدروا قيمة هذه العقود النادرة ، ذلك أننا تعودنا في سورية على اللؤلؤ قولواه الذى فيه غمزات .

أما اللؤلؤ من حيث الحجم فمنه (الجواهر) والحصابي جمع حصباية و(الدانات) جمع دانة ، واللآلىء الصغيرة جداً تسمي (قماشاً) والتي اصغر تسمى (قمشات) تصغير قماش ، وهذه توجد في محارات اسمها (مقشر) وتستخرج غالباً من جدار المحارة الداخلي .

وقد توجد في المقشر الواحد عشرات من القميشات ، وتباع في الهند وتستعمل لتطريز اقمشة المهارجة والاثواب الفاخرة وتدخل في تحضير بعض الادوية .

وتفرق اللآلىء عن بعضها من حيث الحجم بواسطة غرابيل من النحاس تسمى (طوس) جمع طاسة قد يزيد عددها على الستين وهي تتدرج من حيث صغرها واتساع ثقوبها ، فالطاسة الاولى صغيرة وثقوبها كبيرة والتي تليها اكبر وثقوبها اصغر وهكذا حتى تصبح الطوس الاخيرة مثل المنخل بل مثل الشاش .

واللآلىء التي تنزل من الطوس الاول تكون كبيرة وتسمي (راساً) وما يليها يسمى (بطناً)، وما يليها يسمى (ذيلا)، وما يبقى يسمى (سحتيتاً).

ومن اللآلىء ما يكون ملتصقاً بالمحارة ومستوراً بطبقة رقيقة من الصدف ويسمى إذ ذاك (فصاً) ويعرفه ارباب الاختصاص والحظ فيكسرون المحارة ويستخرجون اللؤلؤ من الصدفة. وكم من محارة اهملت ورميت او بيعت بثمن بخس حتى إذا كسرت وجد فيها فص ثمين.

وقد يبلغ ثمن اللؤلؤة الواحدة من هذا الحجم النادر اذا كانت مكورة تماماً ومن النوع الجيد واللون المرغوب فيه عشرات الالوف من الروبيات او الليرات السورية.

وقد استخرجت مرة لؤلؤة نفيسة نادرة بيعت بمائة وخمسين الف روبية، التقطها من البحر غواص بسيط بدوي فقير بلون القهوة أعمش العينين قد لا تحب أن تزعج نفسك بالنظر اليه، يغوص في ظلمات البحر، وبدقيقة واحدة يخرج وقد حمل بيده الوسخة النحيلة المرقاء ثروة ضخمة لا يجنيها مائة محام خلال شهر كامل وقد اتفق أن اغمي على بعض الغاصة حينما اطلعوا على هذه الثروات المفاجئة باللآلىء النادرة.

واللؤلؤ المستخرج إما أن يباع في السفن الى (الطواويش) وهم تجار اللؤلؤ او يسافر به اصحابه الى الهند يبيعونه فيها كما يبيعون الاصداف ايضاً.

ويباع اللؤلؤ بطرائق دقيقة صعبة لا يعرفها إلا كبار الطواويش، فهناك منظار خاص لرؤية اللؤلؤة وفحصها ليظهر لونها وتكورها وسلامتها من شعر او كسر. وهناك ميزان خاص لوزنها بصورة دقيقة جداً.

واللؤلؤ لا يباع جزافا ولا يقدر ثمنه بالنظر والتخمين، بل هناك مجلدات ضخمة لبيان العيارات والاسعار والانواع بصورة مفصلة صعبة يباع اللؤلؤ على موجبها.

ويوزع ثمن اللؤلؤ بسهام معينة متفاوتة على رجال السفينة وصاحبها كل بحسب عمله وجهوده . ويدفع الى الحكومة حصة غواص واحد ، وتقتطع النفقات واجر السفينة ويعطى عادة السيب سهم وللغيص سهم ونصف .

ولا يظن احد ان عملية قطف اللؤلؤ رابحة دوماً فهي قد تخسر ، وقد تكون الخسارة فاحشة جداً وسبب الخسارة هو النفقات الباهظة من اجور العمال والبحارة ونفقات السفر واجرة السفن واسعار الطعام ...

وكما ان كثيراً من المفلسين يصبحون اغنياء بفضل اللؤلؤ ، فكذلك كثيراً ما يخسر الاغنياء مئات الالوف من الروبيات .

وقد حدثني احد الغاصة انه عمل بالغوص ثلاثين سنة في سبيل اللؤلؤ ما كان يغطي فيها نفقاته .

وعلى ذكر اللؤلؤ أقول انني عدت من بلاد اللؤلؤ الى دمشق وليس في جيبي لؤلؤة واحدة . وقد كان كثير من أهلي واصدقائي في دمشق توقعوا ان آتيهم بعقد هدية وقد كنت ارجو ذلك ، ولكنني أفهمتهم ان ما جمعته في الكويت من المال لا يمكنني من شراء لؤلؤة بسيطة واحدة .

القفال : وحينما ينتهي الغوص يأمر رئيس الغوص — المعين من قبل الحكومة — فتنطلق المدافع من سفينته وترفع الاعلام والاشرعة ويغني النهام ويردد البحارة وتندفع السفن في البحر بينما نسمات الخليج الدافئة تداعب اجساد النوتية المتعبة المكدودة .

وحينما يصلون الى (الديرة) اي البلدة يطلقون المدافع ايضاً شكراً لله وايذاناً بوصولهم ، وتسمى العودة هذه (قفالا) . وتقترب السفينة شيئاً فشيئاً من الشاطىء ترفرف عليها العلم الكويتي الاحمر ، وتتعالى اصوات الطبول والاناشيد . وتقترب السفن من الساحل الذي يتجمع الناس عليه لاستقبالها . وترخي السفينة شراعها ، وتدخل الفرضة .

وفجأة ترى النوتية يسقطون الواحد تلو الآخر من ظهر البوم الى البحر باشكال وأوضاع شتى جميلة كأنهم رجال المظلات ويغوصون في الماء ثم تلقى اليهم المراسي فيركزونها في الامكنة اللازمة بين الصخور حتى تقف السفينة . ويستقبل البحارة بالعناق والهتاف (والحب) اي التقبيل .

وهكذا يعمل آلاف الرجال في أخطار البحر وظلماته ، في حر الصيف المحرق ولهيب الخليج الخانق شهوراً طويلة لكي تتزين حسناء فاتنة او غادة هيفاء بهذه الجواهر الغالية والدرر الثمينة واللآلىء المتألقة .